

البَابُ الثَّالِثُ

أَسْرَاطُ السَّاعَةِ وَعَدَمَاتُهَا

١ - علم الساعة

إن الساعة غيب من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه .. والرسول ﷺ بشر لا يدعي علم الغيب ، مأمور أن يَكِيلَ الغيب إلى صاحبه وأن يعلمهم أنها من خصائص الألوهية ، وأنه بشر لا يدعي شيئاً خارج بشريته ولا يتعدى حدودها ، إنما يعلمه ربه ويوحى إليه ما يشاء .. فهو سبحانه يختص بعلمها ، وهو لا يكشف عنها إلا في حينها ، ولا يكشف غيره عنها . يقول الله سبحانه : (يسألونك عن الساعة أيّان مرساها ؟ قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، نقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفيظ عنها ! قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . إن الله - سبحانه - يلفتهم عن السؤال هكذا عن موعدها ، إلى الاهتمام بطبيعتها وحقيقتها ، وإلى الشعور بهولها وضخامتها .. ألا وإن أمرها لعظيم ، ألا وإن عبثها لثقل ، ألا وإنها لتثقل في السموات والأرضين ، وهي بعد ذلك لا تأتي إلا بغتة والغافلون عنها غافلون .

فأولئى لهم أن ينصرف الاهتمام للتهيؤ لها والاستعداد قبل أن تأتي بغتة ، فلا ينفع

معها الحذر ، ولا تجدي عندها الحيلة ، ما لم يأخذوا حذرهم قبلها ، وما لم يستعدوا لها ، وفي الوقت منسجع وفي العمر بقية ، وما يدري أحد متى تجيء ، فأولى أن يبادر اللحظة ويسارع ، وألا يضيع بعد ساعة فقد تفجؤه بعدها الساعة ! والساعة هي الموعد المرتقب للجزء الكامل العادل ، الذي تتوجه إليه النفوس فتحسب حسابه ، وتسير في الطريق وهي تراقب وتحاسب وتحشى الانزلاق .. والله سبحانه يؤكد مجيئها .. (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) وأنه يكاد يخفيها . فعلم الناس بها قليل لا يتجاوز ما يطلعهم عليه من أمرها بقدر ما يحقق حكمته من معرفتهم ومن جهلهم . والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر وفي تكوينهم النفسي . فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه . ولو كان كل شيء مكشوفاً لهم — وهم بهذه الفطرة — لوقف نشاطهم وأسنت حياتهم . فورا المجهول يجرون فيحذرون ويأملون ، ويجربون ويتعلمون . ويكشفون الحجب من طاقاتهم وطاقات الكون من حولهم . وتعلّق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد . يحفظهم من الشرود ، فهم لا يدرون متى تأتي الساعة ، فهم من موعدها على حذر دائم وعلى استعداد دائم . ذلك لمن صحّت فطرته واستقام ، فأما من فسدت فطرته واتبع هواه فيغفل ويجهل ، فيسقط ومصيره إلى الردى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) .

ذلك أن اتباع الهوى هو الذي ينشئ التكذيب بالساعة . فالفطرة السليمة تؤمن من نفسها بأن الحياة الدنيا لا تبلغ فيها الإنسانية كمالها ، ولا يتم فيها العدل تمامه ، وأنه لا بد من حياة أخرى يتحقق فيها الكمال المقدر للإنسان ، والعدل المطلق في الجزاء على الأعمال . والله — سبحانه — قد جعل الساعة غيباً لا يعلمه سواه ، ليبقى الناس على حذر دائم ، وتوقع دائم ، ومحاولة دائمة أن يقدموا لها . وهم لا يعلمون متى تأتي .. يقول سبحانه (إن الله عنده علم الساعة) .. فقد تأتيهم بغتة في أي لحظة ، ولا مجال للتأجيل في اتخاذ الزاد ، وكنز الرصيد .

لقد كان الناس ما يفتأون يسألون النبي ﷺ عن الساعة التي حدثهم عنها طويلاً ،

وخوفهم بها طويلاً ، ووصف القرآن مشاهدتها حتى لكان قارئه يراها . يسألونه عن . وعدّها .

(يسألك الناس عن الساعة . قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) . . ويستعجلون هذا الموعد ، ويحمل هذا الاستعجال معنى الشك فيها ، أو التكذيب بها ، أو السخرية منها ، بحسب النفوس السائلة ، وقربها من الإيمان أو بعدها . والساعة غيب قد اختص به الله سبحانه ، ولم يشأ أن يطلع عليه أحداً من خلقه جميعاً ، بما فيهم الرسل والملائكة المقربون . وفي حديث حقيقة الإيمان والاسلام : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - قال حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبته الى ركبته ووضع كفيه على فخذيه . وقال يا محمد : أخبرني عن الاسلام . قال : (الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلاً) قال : صدقت . فعبئنا له يسأله ويصدق . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان . قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) قال : فأخبرني عن الساعة . قال : (ما المسؤول عنها أعلم من السائل) قال : فأخبرني عن علاماتها قال : (أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) . قال ثم انطلق ، فلبث ملياً ثم قال لي يا عمر : أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم^(١) . فالمسؤول رسول الله ﷺ - والسائل - جبريل عليه السلام - كلامهما لا يعلم علم الساعة ، قل إنما علمها عند الله ، على وجه الاختصاص والتفرد من دون عباد الله . قدّر الله هذا الحكمة يعلمها ، فلمح طرفاً منها ، وفي ترك الناس على حذر من

(١) البخاري ومسلم .

أمرها ، وفي توقع دائم لها ، وفي استعداد مستمر لفعائها ذلك لمن أراد الله له الخير ، وأودع قلبه التقوى . فأما الذين يغفلون عن الساعة ، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقاءها فأولئك الذين يختانون أنفسهم ، ولا يقونها من النار .. وجعل الساعة غيباً مجهولاً متوقفاً في أي لحظة من لحظات الليل والنهار « وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً » .. « وما يدريك لعل الساعة قريب . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق . ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد » .

إن الساعة هي موعد الحكم العدل والقول الفصل . والساعة غيب ، فمن ذا يدري إن كانت على وشك . والناس عنها غافلون وهي منهم قريب ، وعندها يكون الحساب القائم على الحق والعدل الذي لا يهمل فيه شيء ولا يضيع .. والذين لا يؤمنون بها لا تحس قلوبهم هولها ، ولا تقدر ما ينتظرهم فيها ، فلا عجب يستعجلون بها مستهترين . لأنهم محبوبون لا يدر كون . وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها ، ومن ثم هم يشفقون ويخافون ، وينتظرونها بوجل وخشية وهم يعرفون ما هي حين تكون . وإنها لحق . أنهم ليعلمون أنها الحق . إن وعد الله حق .. إنه آت لا ريب فيه . إنه واقع لا يتخلف .. « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا . إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . إنه حق والحق لا بد أن يقع والحق لا يضيع ولا يبطل ولا يتبدد ولا يحد . ولكن الحياة الدنيا تغر وتخدع . ولكن الشيطان يغر ويخدع فلا تمكثوه من أنفسكم ، وميعاد الله آت لا ريب فيه . « قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون » .

وكل ميعاد يجيء في أجله الذي قدره الله له . لا يستأخر لرغبة أحد ، ولا يستقدم لرجاء أحد . وليس شيء من هذا عبثاً ولا مصادفة . فكل شيء مخلوق بقدر . وكل أمر متصل بالآخر ، وقدر الله يرتب الأحداث والمواعيد والآجال وفق حكمته المستورة التي لا يدركها أحد من عباده إلا بقدر ما يكشف الله له . والساعة غيب غائر

في ضمير المجهول « إليه يُرَدُّ علم الساعة » « قل إنما العلم عند الله ، وإنما أنا نذير مبين » . ومن ثم لم يطلع الله أحداً من خلقه على موعد يوم القيامة ، لأنه لا مصلحة لهم في معرفته ولا علاقة لهذا بطبيعة هذا اليوم وحقيقته ، ولا أثر له في التكاليف التي يطالب الناس بها استعداداً لملاقاته بل المصلحة والحكمة في إخفاء ميقاته عن الخلق كافة ، واختصاص الله بعلم ذلك الموعد دون الخلق جميعاً فالعلم لله وهما يبرز بجلاء فارق ما بين الخالق والمخلوق وتتجرد ذات الله ووحدانيته بلا شبه ولا شريك ، ويتمحص العلم له سبحانه . ويقف الخلق بما فيهم الرسل والملائكة في مقامهم متأدين عند مقام الألوهية العظيم . . « قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين » . ووظيفتي الانذار ومهمتي البيان . أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك .

إن الله يوجه الرسول ﷺ إلى تأكيد أمر البعث بأوثق تأكيد ، وهو أن يحلف بربه . وليس بعد قسم الرسول بربه تأكيد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ، ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير . « إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفع الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العظيم » . « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم » . انه ليس بعد قسم الرسول بربه تأكيد ثم لتنبؤن بما عملتم . فليس شيء منه بتروك . والله أعلم منهم بعملهم حتى لينبئهم به يوم القيامة . فإنه يعلم ما في السموات والأرض ويعلم السر والعلن وهو عليم بذات الصدور . وهو على كل شيء قدير . وقد وعد الله الناس أنه يجازيهم بالاحسان احساناً ومجازيهم بالسوء سوءاً « إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع » . فالحساب لا بد هناك وأنه إذا أمهلهم الحساب في الأرض ، فليس بهممل حسابهم في الآخرة .

لقد كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الساعة . متى موعدها « يسألونك عن الساعة أبان مرسيا . فيم أنت من ذكرها إلى ربك متهاها . إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لا يلبثوا إلا غشية أو ضحاها » . متى موعدها ، ولكن انها لأعظم من أن تسأل أو نسأل عن موعدها . فأمرها إلى ربك وهي من خاصة شأنه . فهو الذي ينتهي

اليه أمرها . وهو الذي يعلم موعدها ، وهو الذي يتولى كل شيء فيها ، ووظيفتك وحدودك ، أن تنذرها من ينفعه الانذار ، وهو الذي يشعر قلبه بحقيقتها فيضأها ويعمل لها ، ويتوقعها في موعدها الموكول الى صاحبها سبحانه وتعالى .

ثم يصور هولها وضخامتها في صنعها بالمشاعر والتصورات ، وقياس الحياة الدنيا اليها في احساس الناس وتقديرهم : « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ، فهي من ضخامة الوقع في النفس بحيث تتضاءل الى جوارها الحياة الدنيا ، وأعمارها ، وأحداثها ، ومتاعها ، وأشياؤها ، فتبدو في حسن أصحابها كأنها بعض يوم . عشية أو ضحاها ، وتنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون والتي يؤثرونها ويدعون في سبيلها نصيبهم في الآخرة ، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من المعصية والطغيان ، والتي يجرفهم الهوى فيعيشون له فيها . تنطوي هذه الحياة في نفوس أصحابها أنفسهم ، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها . هذه هي : قصيرة عاجلة ، هزيلة ذاهبة زهيدة تافهة . أفرن عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة ، ومن أجل شهوة زائلة يدعون الجنة مثابة ومأوى ، ألا انها الحماقة الكبرى . الحماقة التي يرتكبها انسان . يسمع ويرى .

٢ - أشرأط الساعة وعلاماتها

يقول الله سبحانه : « أزرأف الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » . أزرأف الآزفة واقتربت كاسحة جارفة . وهي الطامة والقارعة . وهذه هي الساعة قد اقتربت وما هي ذي أشرأطها قد أوضأها رسول الله ﷺ ، كما أوضأها القرآن الكريم ، حتى يستشعر بها القلب . يستشعر برهبة هذه الأحداث الجسام . وعلامات الساعة على قسمين علامات صغرى ، وهي التي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة متطاولة ، وتكون في أصلها معتادة الوقوع ، وعلامات كبرى ، وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة مريعة . وتكون في ذاتها غير معتادة الوقوع .

٣ - في المسيح والمهدي عليهما السلام

يقول الله سبحانه : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن مُسَبَّه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » . ان قضية قتل عيسى عليه السلام وصلبه ، قضية يحبط فيها اليهود - كما يحبط فيها النصارى بالظنون - فاليهود يقولون : انهم قتلوه ويسخرون من قوله انه رسول الله ، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية .

والنصارى يقولون : انه صُلب ودفن ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام . والتاريخ يسكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب ، وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما يقول عن يقين ، فلقد تتابعت الأحداث سراعاً ، وتضاربت الروايات وتداخلت في تلك الفترة بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين . الا ما يقصه رب العالمين . والأنجيل الأربعة التي تروي قصة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته . كلها كُتبت بعد فترة من عهد المسيح ، وكانت كلها اضطهاداً لديانته ولتلاميذه يتعنر معه تحقيق الأحداث في جو السرية والخوف والتشريد . وقد كُتبت معها أناجيل كثيرة . ولكن هذه الأنجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد ، واعتبرت رسمية ، واعترف بها ، لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات . ومن بين الأنجيل التي كُتبت في فترة كتابة الأنجيل الكثيرة ، انجيل برنابا ، وهو يخالف الأنجيل الأربعة المعتمدة ، في قصة القتل والصلب ، فيقول : « ولما دنت الجنود مع يهوذا ، في المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير . فلذلك انسحب الى البيت خائفاً . وكان الأحد عشر نياماً . فلما رأى الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل ، سفراءه . أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب ، فحملوه، ووضعوه

في السماء الثالثة ، في صحبة الملائكة التي تسبح الى الأبد . ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي أوصد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياماً . فألقى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع ، حتى اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيدي معلمنا . أنسيتنا الآن ، الخ^(١) . وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبراً يقيناً عن تلك الواقعة — انني حدثت في ظلام الليل قبل الفجر — ولا يجد المختلفون فيها سنداً يرجع روايته على رواية . « وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » . أما القرآن فيقرر قراره الفصل : « وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، « بل رفعه الله اليه » . ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة ، أم كان بعد الحياة ، ومتى كانت هذه الوفاة وأين ، وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقع القتل والصلب على من شبه لهم سواء .

لا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة ، الا ما ورد في سورة أخرى من قوله تعالى « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي » . وهذه كذلك لا تعطي تفصيلاً عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا التوفي وموعده . وقد اختلف السلف في مدلول قوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » ، باختلافهم في عائد الضمير في موته ، فقال جماعة : وما من أهل الكتاب من أحد إلا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته — أي عيسى — وذلك على القول نزوله قبيل الساعة . وقال جماعة وما من أهل الكتاب من أحد الا يؤمن بعيسى قبل موته . أي موت الكتابي . وذلك على القول بأن الميت — وهو في سكرات الموت — يبين له الحقيقة حيث لا ينفعه أن يعلم ، وقد بين رسول الله ﷺ بياناً واضحاً عن نزول عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده

(١) نقلا عن كتاب « محاضرات في النصرانية » للاستاذ الشيخ محمود أبو زهرة .

ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً^(١)، فيكسر الصليب^(٢)، ويقتل الخنزير^(٣)، ويضع الجزية^(٤)، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد^(٥) (زاد في رواية : (وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها^(٦)) . ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا ان شئتم : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته^(٧) » .

وفي أخرى قال : قال رسول الله ﷺ : والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتوكلن القلاص^(٨) فلا

(١) أي حاكماً عادلاً . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ٦ : ٣٥٦ « والمعنى أنه عليه السلام ينزل حاكماً بهذه الشريعة ، فان هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكماً من حكام هذه الامة .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : أي يبطل دين النصرانية ، بأن يكسر الصليب حقيقة ، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٤ : ٣٤٣ أي يأمر باعدام الخنزير ، مبالغة في تحريم أكله ، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى عليه السلام ، ثم يستحلون أكل الخنزير ، ويبالفون في محبته » .

(٤) أي عن أهل الكتاب ، وبحملهم على الاسلام ، ولا يقبل منهم غير الاسلام أو القتل ، فيصير الدين واحداً ، فلا يبقى أحد من أهل الدمة ليؤدي الجزية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦ : ٣٥٦ « ويؤيده أن عند الامام أحمد من وجه آخر عند أبي هريرة « وتكون الدعوى - أي الملة - واحدة » .

(٥) أي يكثر المال جداً . وسبب كثرته : نزول البركات ، وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم ، وحينئذ تخرج الارض كنوزها ، وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلم الناس بقرب الساعة .

(٦) وذلك أنهم حينئذ لا يتقربون الى الله الا بالعبادة ، لا بالتصدق بالمال لعدم الانتفاع به اذ لا أحد يقبله . قال العلامة فضل الله التوربشتي رحمه الله تعالى : لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك ، أي خيراً من الدنيا وما فيها ، وانما أراد بذلك أن الناس يرغبون في أمر الله ، ويزهدون في الدنيا ، حتى تكون السجدة الواحدة أحب اليهم من الدنيا وما فيها .

(٧) قال الحافظ ابن حجر : « قال ابن الجوزي : انما تلا أبو هريرة هذه الآية للاشارة الى مناسبتها لقوله صلى الله عليه وسلم : وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها » ، فانه يشير بذلك الى صلاح الناس ، وشدة ايمانهم واقبالهم على الخير ، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا . والسجدة تطلق ويراد بها الركعة .

(٨) القلاص : جمع قلوص : وهي الناقة .

يسعى عليها ، ولتذهب الشحنة^(١) والتباغض والتحاسد ، وليدعون الى المال فلا يقبله أحد^(٢) .

وفي رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « ليس بيني وبينه - يعني عيسى - نبي ، وانه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه ، فانه رجل مربوع^(٣) ، الى الحمرة والبياض ، ينزل بين مَمَصْرَتَيْن^(٤) كأن رأسه يقطر وإن لم يُصبه بلل ، فيقاتل الناس على الاسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، وبضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الاسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوقى ، ويصلي عليه المسلمون » .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ، فيقول أعيهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة^(٥)) .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم^(٦)) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده :

(١) الشحنة : العداوة . انما تزول هذه الامراض من القلوب والنفوس لزوال حب الدنيا الذي هو سبب العداوات .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) أي هو معتدل القامة وهو الى الطول أقرب . ولونه أقرب الى الحمرة والبياض .

(٤) مَمَصْرَتَيْن : ثوب مَمَصْر إذا كان فيه صفرة خفيفة يسيرة . وفي رواية أحمد « .. فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا ، الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان مَمَصْران .. » .
(٥) أخرجه مسلم .

(٦) أخرجه البخاري ومسلم ، قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ٦ : ٣٥٨ : وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى : « واذا هم بعيسى ، فيقال : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم امامكم فليصل بكم » .

لِيَهْلَنَ^(١) ابن مريم بفتح الروحاء^(٢) حاجباً أو معتمراً ، أو لِيَسْتَنْتِنِهَا^(٣) .
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لو لم يبق من الدنيا
إلا يوم واحد لَطَوَّلَ اللهُ ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي -
يوأطيه اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً
وجوراً^(٤)) .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لو لم يَبْقَ
من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً ، كما ملئت جوراً^(٥)) .
عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (المهديُّ
من عترتي من ولد فاطمة^(٦)) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :
(المهديُّ مني ، أجلى الجبهة^(٧) ، أفنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت
جوراً وظلماً ، ويملك سبع سنين^(٨)) .

٤ - في الدَجَال

عن عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله : (أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت
الضحاك بن قيس - وهي من المهاجرات الأوَّل - فقال : حدثني حديثاً سمعته من
رسول الله ﷺ ، لا تُسنديه إلى أحد غيره ، فقالت : لئن شئتَ لأفعلن ، فقال :

-
- (١) معنى (يَهْلَن) ليرفعن صوته بالتلبية قائلاً : لبيك اللهم لبيك ، محرماً بحج أو بعمره .
ومعنى أو (لِيَسْتَنْتِنِهَا) أو ليجتمع بين الحج والعمره .
(٢) مكان في طريق النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى بدر . قيل يبعد عن المدينة
سنة أميال .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) رواه أبو داود والترمذي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
(٥) أخرجه أبو داود واسناده حسن .
(٦) أجلى الجبهة : يقال رجل أجلى : إذا ذهب شعر رأسه الى نصفه .
(٧) أخرجه أبو داود واسناده حسن .

أجل حديثي ، فقالت : نكحتُ ابن المغيرة وهو من خيار قريش يومئذ ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلا تأيئتُ^(١) خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد ، و كنتُ قد حدثتُ أن رسول الله ﷺ قال : من أحبني فليُحِبْ أسامة ، فلما كلمني رسول الله ﷺ : قلتُ : أمري بيدك فأنكحني من شئتَ ، فقال : انتقلي إلى أم شريك - وأم شريك امرأة غنية من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان - فقلتُ : سأفعلُ ، قال : لا تفعلي ، إن أم شريك كثيرة الضيفان . فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أمّ كلثوم . وهو رجل من بني فهر - فهر قريش - وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلتُ إليه ، فلما انقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي - منادي رسول الله ﷺ - الصلاة جامعة ، فخرجتُ إلى المسجد ، فصليتُ مع رسول الله ﷺ ، فكنيتُ في النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : ليلزم كل انسان مُصلاه ، ثم قال : أندرون لم جمعتم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما جمعتم لرغبة ، ولا رهبة ، ولكن جمعتم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنتُ أحدثكم عن المسيح الدجال^(٢) ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفؤوا^(٣) إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب^(٤) السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة

(١) تأيئت المرأة : مات زوجها أو فارقتها .

(٢) الدجال : الكذاب .

(٣) أرفأت السفينة : قربها إلى الشاطئ وأدبستها من البر . وذلك الموضع مرفأ .

(٤) أقرب القارب : سفينة صغيرة تكون إلى جانب السفن البحرية يستعملون بها حواجم

من البر .

أهلب^(١) ، كثير الشعر ، لا يدرون ما قبّله من دُبُرِهِ . فقالوا : ويلك ، ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة^(٢) قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدّير ، فإنه إلى خبركم بالاشواق ، قال : لمّا سمّيت رجلاً ، فَرَقْنَا منها أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا مراعاةً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم انسان رأيناه قطّ خَلَقًا ، وأشدّه وثاقًا ، مجموعة يده إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم^(٣) ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا ندري ما قبّله من دُبُرِهِ من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ، قلنا : وما الجساسة ، قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل الذي في الدير ، فإنه إلى خبركم بالاشواق ، فأقبلنا إليه سراعاً ، وفزنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة . فقال : أخبروني عن نخل بَيْسَان ، قلنا عن أي شيء تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم ، قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر ، قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب ، قال : أخبروني عن عين زُغَر ، قالوا عن أي شيء تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من ماؤها ، قال : أخبروني عن نبيّ الأميين ، ما فعل ؟ قالوا : [قد] خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن

(١) أهلب : ما غلظ من الشعر ، والأهلب : الغليظ الخشن .

(٢) الجساسة : فتاة من التجسس ، وهو الفحص عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال ذلك

في الشر .

(٣) اغتلام البحر : اضطراب أمواجه واعتياجه .

ذاك خيرٌ لهم أن يطيعوه ، وإني مخبركم عني ، أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدعُ قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرومتان عليّ كلتاها ، كلما أردت أن أدخل من واحدة ، أو واحداً منها ، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً^(١) يصدني عنها ، وإني على كل نقب^(٢) منها ملائكة يحرسونها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : وطعن بمخصرته في المنبر : هذه طيبة ، هذه طيبة - يعني : المدينة - ألا هل كنت حدثتكم عن ذلك؟ فقال الناس : نعم ، قال : فإنه أعجبني حديث تميم : أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ، ما هو ؟ من قبل المشرق ما هو ؟ وأوماً بيده إلى المشرق - قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ^(٤) .

وفي رواية قالت : « قدِمَ على رسول الله ﷺ تميم الداري » ، فأخبر رسول الله ﷺ : أنه ركب البحر ، فتأهت به سفينته ، فسقط إلى جزيرة ، فخرج إليها يلتمس الماء ، فلقي انساناً يجره شعره .. واقتص الحديث ، وفيه : ثم قال : أما إنه لو قد أذن لي في الخروج قد وطئت البلاد كلها غير طيبة ، فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس فحدثهم ، وقال : هذه طيبة وذاك الدجال .

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال^(٥)

(١) صلتاً : المسلول من غمده ، المهيأ للضرب به .

(٢) النقب : الطريق في الجبل .

(٣) المخصرة : عصا ، أو قضيب ، أو سوط كانت تكون بين الخطيب إذا تكلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصاف هذا الدجال وأحواله وأفعاله ونهايته أوفى بيان . وذكر الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٦ و ٨٩ - ٩٠ ما رواه - خاصة - الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انه يهودي ، وأنه لا يولد له ولد ، وأنه لا يدخل المدينة ولا مكة » . رواه مسلم في صحيحه ، ١٨ : ٥٠ ، « وإن عينه اليمنى عوراء ، جاحظة ، لا تخفى ، كأنها نخاعة - أي نخعة - في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري - يعني شدة انقادها - معه من كل لسان ، ومعه صورة

الجنة خضراء يجري فيها الماء ، وصورة النار سوداء » رواه أحمد في « مسنده » ٧٩ : ٣ ، « وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى ، كلما خرجا من قرية دخل أوائله » رواه أبو يعلى والبيهقي . وذكر الحافظ ابن حجر موطن خروجه فقال في « فتح الباري » أيضا ١٣ : ٧٩ « وسيكون خروجه من قبل المشرق جرما ، ثم جاء في رواية أنه يخرج من خراسان ، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر ، وفي رواية أخرى : أنه يخرج من أصبهان ، أخرجها مسلم . ويخرج أولا فيدعي الإيمان والصلاح ، ثم يدعي النبوة ، ثم يدعي الألوهية ! » ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى في « فتح الباري » ١٣ : ٩١ و ٩٣ « قال الخطابي : فإن قيل : كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد الكافر ؟ فإن أحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء ، فكيف ينالها الدجال وهو كذاب مفتر يدعي الربوبية ؟ » فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد ، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوب على جبهته : كافر ، يقرأه كل مسلم . فدعواه داحضة مع وسم الكفر ، ونقص الذات والقدر ، إذ لو كان الها لازال ذلك عن وجهه . وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة فلا يشتبهان . ثم قال الحافظ ابن حجر بعد كلام الخطابي هذا : « وفي الدجال دلالة بينة — لمن عقل — على كذبه ، لانه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عور عينيه — أي عيبهما — فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم ، فأسوأ حال من يراه من ذوي المقول أن يعلم أنه لم يكن ليُسوي خلق غيره وبعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأول ما يجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض ، صور نفسك وعدلها ، وأزل عنها الصفة ! فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك » . ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : « وقال القاضي عياض : في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال وأنه شخص معين ، يبتلى الله به العباد ، ويقدره على أشياء كاحياء الميت الذي يقتله ، وظهور الخصب ، والانهار ، والجنة والنار ، واتباع كنوز الأرض له فتنبت ، وكلها ذلك بمشيئة الله تعالى ، ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ثم يبطل أمره ، ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . »

وقال الشيخ أبو بكر بن العربي : الذي يظهر على يد الدجال من الآيات : من انزال المطر والخصب على من يصدقه ، والجذب على من يكذبه ، واتباع كنوز الأرض له ، وما معه من جنة ونار ، ومياه تجري ، كل ذلك محنة من الله واختبار ، ليَهْلِك المرتاب ، وينجو المتيقن ، وذلك كله أمر مخوف ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : لا فتنة أعظم من فتنة الدجال . وكان صلى الله عليه وسلم يستعيد منها في صلاته تشريعا لامته صلى الله عليه وسلم « انتهى » .

ذاة غداة فحَفُضَ فيه ورفُتَع^(١) حتى ظنناه في طائفة النخل^(٢) ، فلما رُحنا اليه عرف ذلك فينا ، فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله : ذكرت الدجال الغداة ، فحَفُضَتْ فيه ، ورفُتَعَتْ ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حبيجه^(٣) دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط^(٤) ، عينه طافئة^(٥) ، كإني أشبهه بـ « عبد العزى بن قطن^(٦) » . فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح « سورة الكهف^(٧) » ، إنه خارج خلة^(٨) بين الشام والعراق ، فعات^(٩) يميناً ،

(١) قال النووي في شرح صحيح مسلم « ١٨ : ٦٣ » في معناه قولان :

أولال : أن معنى (حَفُضَ فيه) : حَقَّرَهُ ، ومعنى (رفُتَع) : رفع) فيه : عظمه وفخمه ، فمن تحقيره قوله صلى الله عليه وسلم : أنه أعور العين ، وأنه أهون على الله من ذلك ، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه ، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك . ومن تفخيمه وتعتظيم فتنته قوله صلى الله عليه وسلم : ليس بين يدي الساعة خلق أعظم من الدجال ، وما من نبي إلا وقد أندر أمته الأعور الكذاب ، وتلك الأمور الخارقة للعادة التي تقع له .

القول الثاني في معنى (حَفُضَ فيه ورفُتَع) : أنه خفض من صوته لكثرة ما تكلم في شأن الدجال ، فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد « انتهى » خفض ورفع) ضبطهما النووي بتثنيدها فيهما ، وضبطهما القرطبي بتخفيف الفاء فيهما كما في شرح العلامة الأبي على صحيح مسلم « ٧ : ٢٦٧ ، ففيهما روايتان .

(٢) أي في ناحية سبائين النخيل بقرب المدينة كأنه حضر الآن .

(٣) الحجيج : الحاجج ، وهو المجادل والمخاصم الذي يطلب الحجة ، والمعنى : إن خرج وأنا فيكم فأنا حبيجه دونكم ، أي محاججه ومدافعه ومبطل أمره . وإن خرج ولست فيكم فكل مؤمن حجيج نفسه : يدفع عن نفسه ، فقد استخلفت الله عليكم ، فهو لكم نعم العون على دحره وقهره .

(٤) القطط : الشعر الجعد ، أي شديد . جمودة الشعر .

(٥) أي ذهب نورها ، وهي العين اليمنى المسوحة ، ويروى طافية ، بالياء أي مرتفعة نائمة ، فنكون العين اليسرى كما حققه النووي في شرح « صحيح مسلم » ٢ : ٢٣٥ .

(٦) هو رجل من خراة ، هلك في الجاهلية .

(٧) وروى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال .

(٨) أنه خارج خلة : أي أنه يخرج قصدا وطريقا بين الجهتين ، والتخلل : الدخول في الشيء .

(٩) العيث : أشد الفساد ، أي أفسد عن يمينه وأفسد عن شماله مسرعا في إفساده أيما اسراع .

وعاثّ شمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا^(١) ، قلنا : يا رسول الله: وما لبثه في الأرض ؟^(٢)
قال : أربعون يوماً : يوم كسنة ، ويوم كشهرا ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه
كأيامكم^(٣) ، قلنا : يا رسول الله ، فذاك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟

(١) قال القرطبي : أمر صلى الله عليه وسلم من لقي الدجال أن يثبت على الاسلام ، فان
لبث الدجال في الأرض قليل ، وأما من لم يلقه فليفرغه لحديث أبي داود : « من سمع بالدجال فليثب
عنه ، فوالله ان الرجل لياتيه وهو بحسب انه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به - بشيره من الشبهات » .
(٢) أي ما قدر مكثه وبقائه ؟

(٣) قال الامام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٥ « قال العلماء : هذا الحديث على
ظاهره ، وهذه الايام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث ، يدل على ذلك قوله صلى
الله عليه وسلم « وسائر أيامه كأيامكم » وقوله لهم حين سألوه : فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا
فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، اقدروا له قدره » انتهى . وقال العلامة ابن ملك : « وهذا القول في
تفسير امتداد الايام الثلاثة جار على حقيقته ، ولا امتناع فيه ، لان الله قادر على أن يزيد كل جزء
من أجزاء اليوم الاول حتى يصير مقدار سنة ، خارقا للعادة ، كما يزيد في أجزاء الساعة من
ساعات اليوم » .

قال العلامة علي القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ١٩٥ بعد نقله كلام ابن ملك المذكور :
« وهذا القول الذي قرره لا يفيد الا بسط الزمان كما وقع له صلى الله عليه وسلم في قصة الاسراء
مع زيادة على المكان . لكن لا يخفى أن سبب وجوب كل صلاة انما هو وقتها المقدر من طلوع صبح ،
وزوال شمس ، وغروبها ، وغيبوبة شفقها ، وهذا لا يتصور الا بتحقيق تعدد الايام والليالي على
وجه الحقيقة ، وهو مفقود » .

فتقول - وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق - قد تبين لنا باخبار الصادق المصدوق
سلوات الله تعالى وسلامه عليه أن الدجال يبعث معه من المشتبهات ويغيب على يديه من التمويهات:
ما يسلب من ذوي العقول عقولهم ، ويخطف من ذوي الابصار ابصارهم ، فمن ذلك تسخير الشياطين
له ، ومجيئه بجنة ونار ، واحياء الميت على ما يدعيه ، وتقويته على من يريد اضلاله تارة بالطر
والعشب ونارة بالازمة والجذب . ثم لاختفاء أنه أسحر الناس ، فلم يستقم لنا تأويل هذا القول الا
أن نقول : انه يأخذ بأسماع الناس وابصارهم حتى يخيل اليهم أن الزمان قد استمر على حالة
واحدة : اسفار بلا ظلام ، وصباح بلا مساء ، يحسبون أن الليل لا يمد عليهم رواقه ، وان الشمس
لا تطوي عنهم شيعاءها ، فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ، ويدخل عليهم دواخل باختفاء
الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار ، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يجتهدوا عند مصادمة
نلك الاحوال ، ويقدروا لكل صلاة قدرها ، الى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة . هذا الذي اهتدنا
اليه من التأويل ، والله الموفق لاصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل » . انتهى .

قال : لا ، اقدروا له قدره^(١) ، قلنا : يا رسول الله ، وما اسرعه في الأرض^(٢) ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح^(٣) ، فيأتي على القوم ، فيدعوم^(٤) فيؤمنون به ، ويستجيون له ، فيأمر السماء فتُمْطر ، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم^(٥) أطول ما كانت عليه درأ^(٦) ، وأسبغه ضروعاً^(٧) ، وأمدة خواصر^(٨) ، ثم يأتي القوم فيدعوم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون بمحلين^(٩) ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة^(١٠) ، فيقول لها : أخرجي كنوزك فتنبعه

- (١) قال العلامة علي الفاري في « المرقاة » ٥ : ١٩٦ : « أي قدروا لوقت صلاة يوم في يوم - كسنة مثلاً - قدره الذي كان له في سائر الأيام ، كمحيوس اشتبه عليه الوقت » . وقال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٦ : معناه أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر ، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب ، وكذا العشاء والصبح ، ثم الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، وهكذا حتى ينتضي ذلك اليوم ، وقد وقع فيه صلوات سنة ، كلها فرائض مؤداة في وقتها . ثم قال النووي : قال القاضي عياض وغيره : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم ، شرعه لنا صاحبه الشرع . قالوا : ولولا هذا الحديث وولكلنا إلى اجتهدنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الاوقات المعروفة في غيره من الأيام . وما اليوم الثاني الذي كشره ، والثالث الذي كجمعة فيقدر لهما أيضاً كالיום الأول على ما ذكرناه ، والله أعلم .
- (٢) أي ما مقدار سرعته في مسيره على الأرض وطي مسافاتها .
- (٣) وفي رواية « الدر المنثور » للسيوطي ٤ : ٣٣٧ « كالغيث يشتد به الريح » . والمراد بالغيث هنا : الغيم ، أي يسرع في الأرض اسراع الغيم تسوقه الريح بقوة وعنف .
- (٤) أي إلى باطله ودعوى الوهيته .
- (٥) السارحة : الماشية ، أي ترجع عليهم آخر النهار ماشيتهم التي تذهب بالفدوة أول النهار إلى مراعيها .
- (٦) الدر : اللبن .
- (٧) الضروع : جمع فرع وهو الشدي ، واسباغ الضروع : اتساعها بكثرة ما فيها من اللبن .
- (٨) الخواصر : جمع خاصرة وهي ما تحت الجنب ، ومدّها كناية عن زيادة امتلائها بكثرة ما رعته وأكلته من المراعي الخصبة .
- (٩) المحل : الذي قد اجذبت أرضه وقحطت وغلت أسعاره ، أي يصبحون وقد أصابهم المحل ، وهو انتطاع المطر ويسس الأرض من الكلا والمشب .
- (١٠) أي بالأرض الخربة والبقاع الخربة .

كنوزها كيعاسيب النحل^(١) ، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شباباً ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزلَتين^(٢) ، رمية الغرض ، ثم يدعو فيقبل ، ويتهلل وجهه بضحك ، فيبئنا هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مَهْرُ دَتَيْن^(٣) ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه نحدَرُ منه جمان كاللؤلؤ^(٤) ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفْسِهِ إلا مات^(٥) ، ونَفْسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب

(١) اليعاسيب : ذكور النحل ، ومفردها يعسوب ، وهو أمير النحل متى طار تبعته جماعته ، والمراد تتبع كنوز تلك الأرض الدجال كما تتبع جماعات النحل يعاسيبها طاعة ومتابعة .
(٢) جزلَتين ، يروى بفتح الجيم وكسرهما ، أي قطعتين . والغرض : الهدف . ومعنى رمية الغرض : أنه حينما يقطع الدجال بالسيف ذلك الشاب قطعتين تتباعد القطعتان عن بعضهما كبعد رمية السهم عن القوس . وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم في صحيحه ١٨ : ٧٣ « ثم يمشي الدجال بين القطعتين » .

(٣) رويت هذه اللفظة بالذال والذال ، يقال : إن الثوب صنع بالورس ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهر الحوذانة ، فذلك الثوب مهود ، ومعناه : ينزل عليه السلام في حلتين لابسهما ، وفيهما صفرة خفيفة .

(٤) أي إذا خفض رأسه قطر منه الماء ، وإذا رفعه تحدر منه تحدر أي نزل ببطء ، وصفة ذلك كالجمان وهو حبات من الفضة كبار ، تشبه اللؤلؤ في صفاتها وحسنها . وهذا كله كناية عن حسن سيدنا عيسى وجمال خلقته الشريفة عليه الصلاة والسلام إلى جمال ثيابه الذي تقدم ذكره ، هذا ما ذكره العلماء في توجيه معنى جملة (إذا طأطأ رأسه قطر) . وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عيسى عليه السلام في حديث آخر ، رواه البخاري في صحيحه ٦ : ٣٤٩ ، ١٣ : ٨٥ بشرح الحافظ ابن حجر فقال في نعت « رجل آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال ، سبط الشعر ، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللهم تضرب لفته بين منكبيه ، يقطر رأسه ماء ، ربعة ، أحمر كأنما خرج من ديماس ، وتفسير هذه النعوت الكريمة : اسم جميل السمرة جدا ، له شعر ليس بجعد ، طويل يضرب على منكبيه في غاية النظافة والنضارة والجمال ، حتى كأنه يقطر من الماء الذي سرحه به ، مربوع القامة ، تلو وجهه حمرة ، كأنه خرج من الحمام تتحدر من وجهه حبات الماء كاللؤلؤ الوضاء .

(٥) أي لا يمكن ولا يقع لكافر يجد ريح نفس عيسى عليه السلام إلا مات . قال العلامة القرطبي : يعني أن الله سبحانه قوى نَفْسِ عيسى عليه السلام حتى يصل إلى ادراك بصره ، ومعناه أن الكفار لا يقربونه ، وإنما يهلكون عند رؤيته ووصول نفسه إليهم ، حفظ من الله سبحانه له ، وأظهر كرامته . نقله العلامة الأبى في شرح « صحيح مسلم » ٧ : ٢٧٢ . وقال العلامة علي القاري : ومن الغريب أن نَفْسَ عيسى عليه الصلاة والسلام تعلق به الأحياء لبعض ، والإماتة لبعض .

لُدَّة^(١)، فيقتله، ثم يأتي عيسى [بن مريم] قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم^(٢)، ويجدثهم بدرجاتهم في الجنة، فينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم، أني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم^(٣)، فحرّر عبادي إلى الطور^(٤)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون^(٥)، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية^(٦) فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم، فيقولون : لقد كان بهذه

(١) بلدة معروفة الآن في فلسطين، قريبة من بيت المقدس .

(٢) قال العلامة علي القاري رحمه الله تعالى : أي يزيل عن وجوههم ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغة في اكرامهم، أو المعنى : يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسره من خبره لهم بقتل الدجال .

(٣) أي لا قدرة ولا طاعة لأحد بمقاتلتهم .

(٤) أي ضمهم إلى الطور واجعله لهم حرزا . والطور هو الجبل الذي ناجى عليه سيدنا موسى ربه .

(٥) الحذب : المرتفع من الأرض، وينسلون : يسرعون . يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى مرتفعاً من الأرض إلا وقوم منهم يهبطون منه مسرعين في المشي إلى الفساد .

(٦) هي بحيرة في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها .

وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، منها ما رواه الإمام أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٧ وابن ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٦٣ واللفظ لأحمد من حديث أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال الله عز وجل « وهم من كل حذب ينسلون » فيفشون الناس - لفظ ابن ماجه - فيعمون الأرض - وينتاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم . ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابساً، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول : قد كان ها هنا ماء مرة !

حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء، قال : ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع إليه مخضبة دماً، للبلاء والفتنة !

فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دوداً في أعناقهم كنفف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، - لفظ ابن ماجه : كنفف الجراد فتأخذ بأعناقهم - فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس . فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ؟ قال : فينحدر رجل منهم محتسباً نفسه قد أوطئها على أنه مقتول، فيجدهم موتى بعضهم على بعض ! فينادي : يا معشر المسلمين ألا أبشروا أن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه - تسمن وتمتلئ شحماً - كاحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط « انتهى كلام الحافظ ابن كثير .

مرّة ماء ويحصّر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه^(١) ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار ، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النّغف^(٢) في رقابهم فيصبحون قرّس^(٣) ، كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض^(٤) ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم^(٥) ونشئهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت^(٦) ، فتحملهم فتطرحهم حيثما شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر^(٧) ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلفة^(٨) ، ثم يقال للأرض : أنتبي ثمرتك ، وردّي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة^(٩) الرمانة ، ويستظلون بقحفها^(١٠) ، ويبارك في الرّسل^(١١) ، حتى إن اللقحة^(١٢) من الإبل لتكفي الفئام من الناس^(١٣) ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم

(١) أي يحاصرون ويحبسون في جبل الطور .

(٢) دود يكون في أنوف الإبل والغنم .

(٣) فرس : جمع فريس ، وهو القتيل . وفرس : أي موتى ! قال العلامة التوريشي رحمه الله تعالى : يعني أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفتّرسهم دفعة واحدة ، فيصبحون قتلى ! وقد نبه صلى الله عليه وسلم بالكلمتين أعني : (النّغف) و (فرس) على أن الله سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف ، فيفترسهم فرس السبع فريسته بعد أن طارت نعمة البغي في رؤوسهم - خيلاؤه وكبره - ، فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء !

(٤) أي ينزلون من جبل الطور .

(٥) أي رائجهم الكريهة .

(٦) البخت : نوع من الجمال طوال الاعناق . أي يرسل الله طيراً كبيرة طويلة قوية .

(٧) أي لا يحفظ ولا يصون منه بيت تراب أو حجر أو صوف أو شعر .

(٨) أي كالمرآة في صفائها ونظافتها .

(٩) أي الجماعة .

(١٠) أي بقشرها لشدة كبرها .

(١١) أي اللبن الحليب .

(١٢) اللقحة : الناقة التي يكون لها لبن .

(١٣) الفئام : الجماعة الكثيرة .

لتكفي الفخذ^(١) من الناس ، فينأهم كذلك ، إذ بعث الله رجلاً طيباً ، فيأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج^(٢) الحمر ، فعليهم تقوم الساعة^(٣) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال فيتوجه قبلة رجل من المؤمنين فتلقاه المسالمة^(٤) - مسالمة الدجال - فيقولون له : أين تعمد ؟ فقال : أعمد إلى هذا الذي خرج ، قال : فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما ربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض : ليس نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : أيها الناس ، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال : فيأمر الدجال به فيشج ، فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً ، قال : فيقول أما تؤمن بي ؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب ؟ قال فيؤمر به ، فيؤشر^(٥) بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، قال : ثم يقول له قم ، فيستوي قائماً ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة^(٦) قال : ثم يقول : يا أيها الناس : إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليزججه ، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً ، فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيأخذ يديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقى

(١) أي الجماعة أقل من القبيلة .

(٢) التهارج : الاختلاف والاختلاط ، وأصله القتل . والمعنى أي يتسافدون في الأرض تسافد الحمر ، أي يجامع الرجال علانية النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمر ، ولا يكترون لذلك . والهرج : الجماع . وهذا نموذج لشبوع الفساد والفواحش حينذاك . إذ في الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٨٨ : « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) المسالمة : جمع مسلحة ، وهم قوم معهم سلاح .

(٥) أثرته بالمنشار : إذا شققته به .

(٦) المعرفة واليقين .

في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين^(١) .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال ربعي ابن حيراش : انطلقت أنا وعقبة بن عمرو الى حذيفة ، فقال عقبة : حدثني عما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال ، فقال سمعته يقول : « إن مع الدجال اذا خرج ماء و ناراً ، فأما الذي يرى الناس أنه نار : فماء بارد ، وأما الذي يرى الناس أنه ماء ، فنار تحترق ، فمن أدرك ذلك اليوم منكم فليقع في الذي يرى أنه نار ، فانه ماء عذب بارد ، قال حذيفة : وسمعتة يقول : إن رجلاً من كان قبلكم أتاه الملائكة ليقبضوا روحه ، فقال : هل علمت من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً ، غير أنني كنت أباع الناس في الدنيا ، فأنتظر^(٢) المومنين وأتجاوز عن المعسرين ، فادخله الله الجنة ، وسمعتة يقول : إن رجلاً حضره الموت ، فلما يتيسر من الحياة ، أوصى أهله ، إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً^(٣) ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمي ، وخلصت إلى عظمي ، وإمتحشت^(٤) ، فخذوها فاطحنوها ، ثم انظروا يوماً راحاً^(٥) فاذروه في اليم ، ففعلوا ، فجمعه الله عز وجل اليه فقال : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، قال فغفر الله له ، فقال عقبة وأنا سمعته يقول ذلك ، وكان نبأ^(٦) .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، وإنه قال لي : ما يضره منه ؟ قلت : إنهم يقولون ، إن معه جبل خبز ، ونهر ماء ، قال : هو أهون^(٧) على الله من ذلك .

(١) رواد مسلم .

(٢) انظار المعسر : تأخير ما عليه من الدين الى حال يساره .

(٣) الحطب الجزل : القوي الغليظ .

(٤) الإمتحاش : الاحتراق .

(٥) يوم راح : كثير الريح شديد .

(٦) أخرجه البخاري ومسلم .

(٧) أخرجه البخاري ومسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه ، إنه أعور ، إنه يجيء بمثال الجنة والنار ، فإني يقول : إنها الجنة : هي النار ، وإني أنذركم به ، كما أنذر به نوح قومه (١) .

عن أبي الزبير رحمه الله سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : أخبرني أم شريك ، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : لينفرن الناس من الدجال في الجبال) . قالت أم شريك : قلت يا رسول الله ، فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل (٢) .
عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من سمع بالدجال فليستأ منه ، فوالله : إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه ، مما يبعث به من الشبهات ، أو لما يبعث به من الشبهات (٣)) .

عن حميد بن هلال رضي الله عنه عن رهط - منهم أبو الدهماء وأبو قتادة - قالوا : كنا نمر على هشام بن عامر ، نأتي عمران بن حصين ، فقال ذات يوم : إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ مني ، ولا أعلم بمجديته مني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة : خلق أكبر من الدجال) . وفي رواية (أمر أكبر من الدجال (٤)) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : ذكر الدجال بين ظهراني الناس ، فقال : (إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كان عنه عتبة طافئة (٥)) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) أخرجه أبو داود ، وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه مسلم ، وقد روى مسلم في صحيحه ٥ : ٨٨ عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : قولوا : « اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم ، واعوذ بك من عذاب القبر ، واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، واعوذ بك من فتنة المخيا والمات » . .

(٥) أخرجه مسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه (ك ف ر)^(١) . وفي رواية لمسلم ان نبي الله ﷺ قال : (الدجال مكتوب بين عينيه « ك ف ر » أي كافر) وفي أخرى : قال : قال رسول الله ﷺ (الدجال ممسوح العين ، مكتوب بين عينيه (كافر) ثم تهجاها (ك ف ر) يقرؤها كل مسلم) .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إني حدثتكم عن الدجال ، حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن المسيح الدجال قصير أفنج^(٢) ، جعد أعور ، مطموس العين ، ليست بناتئة ولا جحراء^(٣) ، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور^(٤)) .

عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يقتل ابن مريم الدجال بباب لد^(٥)) .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ قال : (الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان^(٦) المطرقة^(٧)) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيلاسة^(٨)) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود .

(٢) الفحج : تباعد ما بين الفخذين .

(٣) عين جحراء : أي عين مختفية .

(٤) أخرجه أبو داود وأسناده حسن .

(٥) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث صحيح .

(٦) المجان : جمع مجنة . وهو الترس .

(٧) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٨) أخرجه مسلم .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال في خفة من الدين ^(١) ، وإدبار من العلم ، وله أربعون يوماً يسيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه . وله حمار يركبه ، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً . فيقول للناس : أنا ربكم . وهو أعور . وإن ربكم ليس بأعور . مكتوب بين عينيه : (كافر) ، كفر ، مهجأة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب . يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمها الله تعالى عليه ، وقامت الملائكة بأبوابها ، ومعه جبال من خبز ، والناس في جهد إلا من تبعه . ومعه نهران أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول : الجنة ، ونهر يقول النار فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة .

ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس . ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس ، لا يسلب على غيرها من الناس . ويقول : يا أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل ؟ فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصروهم ، فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً .

ثم ينزل عيسى ابن مريم من السحر ، فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الحثيث ؟ فيقولون : هذا رجل جني ^(٢) ، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن عليه السلام ، فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه . فحين يراه الكذاب يثاثر كما يثاثر الملح في الماء ^(٣) ، فيمشي إليه فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادي يا روح الله هذا

(١) أي في حال ضعف من الدين وقلة أهله . ولفظ « في خفة » رواية الحاكم ، ورواية أحمد « في خفة من الدين » والمعنى واحد ، مأخوذ من خفق الليل إذا ذهب ، أو خفق الأمر إذا اضطرب .

(٢) هذا كناية عن شدة أذاه .

(٣) أي يخنفي ويتوارى كما يدوب الملح في الماء .

اليهودي ، فلا يترك من كان يتبعه أحداً إلا قتله (١) .

ويلاحظ أن قراءة أخبار الساعة واليوم الآخر وما يكون قبله لها الأثر الكبير البالغ في تصحيح سلوك الناس وتحسين أعمالهم ، كما أن بُعد الناس عن قراءتها ومعرفتها يتسبب عنه سوء العمل ، وينسي على طول الزمن تلك الحقائق من الأذهان ، ويقلصها في النفوس ، حتى قد يقع الاستبعاد والاستخفاف بها ، أو الانكار لوقوعها من لا علم عندهم ، ولذلك كان السلف الصالح يداومون على تعليم تلك الأخبار والأحاديث ويذكرونها للناس حتى للأولاد في الكتاب - المدرسة - ليتوارثوا معرفتها بعلم وبصيرة ، ولتكون لهم بها عقيدة راسخة أصيلة ، تزيد متانة على مرور الأيام .

وروى مسلم في « صحيحه » : ٥ : ٨٨ (عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : قولوا : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات) . قال مسلم بن الحجاج : بلغني أن طاوساً - وهو راوي هذا الحديث عن ابن عباس - قال لابنه : أدعوت بها في صلاتك ؟ فقال : لا ، قال : أعذ صلاتك) . انتهى . وإنما أمر طاوس ابنه بأعادة الصلاة لأنه كان يرى وجوب الدعاء في الصلاة بهذه الدعوات الأربع ، ويرى أن المصلي إذا أخل بها بطلت صلاته ، وذلك لما فهمه من وجوبها من اهتمام النبي ﷺ بتعليمها للصحابة كما يعلمهم السورة من القرآن ، وأمره لهم بالدعاء في صلواتهم . وقد روى مسلم في « صحيحه » أيضاً : ٥ : ٨٧ عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهذا الدعاء . وروى أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » . وما هذا الاهتمام العظيم من النبي ﷺ بهذا

(١) رواد أحمد في « مسنده » وصححه الحاكم في « المستدرک » ورجاله ثقات . وقال الذهبي في تلخيص المستدرک : ٥٣٠ : « وهو على شرط مسلم » ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٤ وقال « رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح » .

الدعاء عملاً وأمرًا وتعلماً إلا لما حواه من التعوذ من عظام الأمور والأهوال الكائنة الحق ولا ريب ، ولهذا جزم الامام ابن حزم الظاهري بفرضية قراءة هذا التعوذ بعد الفراغ من التشهد كما في كتابه « المحلى » ٣ : ٢٧١ أخذاً من ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه وبعد أن روى الامام ابن ماجه في « سننه » حديث أبي امامة الباهلي ، وفيه أوصاف الدجال وأحواله وأعماله ونزول عيسى عليه السلام ، قال عقبه : (سمعتُ أبا الحسن الطنائسي يقول : سمعتُ عبد الرحمن المحاربي يقول : ينبغي أن يدفع هذا الحديث الى المؤدّب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب « أي في المدرسة » . وقال العلامة السّفاريني في شرح منظومته في العقيدة الاسلامية المسمى « لوامع الأمرار البهية » ٢ : ١٠٦ « ينبغي لكل عالم أن يثبت أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ، ولا سيما في زماننا هذا الذي اشرّبت فيه الفتن ، وكثرت فيه الخن ، واندurst فيه معالم السنن ، وصارت السنة فيه كالبدع ، والبدعة شرع يتبّع » انتهى^(١) .

٤ - في الفتن والاختلاف أمام القيامة

١ - الفتن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون بين يدي الساعة فتن كقطع^(٢) الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا^(٣) » .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال - عند قرب وفاته - : « ألا أحدثكم حديثاً عن رسول الله ﷺ ، لا يحدثكم به أحدٌ عنه بعدي ؟ سمعت رسول الله ﷺ

(١) كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح تحقيق الاستاذ الشيخ عبدالفتاح ابو غدة ص ٨ .

(٢) قطع الليل : طائفة منه .

(٣) أخرجه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

يقول : « لا تقوم الساعة - أو قال : إن من أشرط الساعة - : أن يُرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويُشرب الخمر ، ويفشو الزنا ، ويذهب الرجال ، ويبقى النساء ، حتى يكون لخمسین امرأة قیّم^(١) واحد^(٢) » .

عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل ، ويُرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل^(٣) » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشرط الساعة أن يتقارب الزمان^(٤) ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى^(٥) الشح ، ويكثر الهرج ، قالوا : يا رسول الله ، وما الهرج ؟ قال : القتل^(٦) » .

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : « أتيتُ النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو

(١) قیّم المرأة : زوجها ، لانه يقوم بأمرها ، وبما تحتاج اليه من نفقة وغيرها ، ومعنى الجملة الاخيرة : أن الرجل الواحد يكون راعياً قائماً بمصالح خمسین امرأة ، له فيهن الزوجة من الواحدة الى الاربع ، والباقي لسن زوجات له ، وانما هن قريبات من اخوات وامهات وخالات وعمات وجدات ونحو ذلك .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) يتقارب الزمان : كتابة عن قصر الاعمار ، وقلة البركة فيها ، وقيل ان الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالיום ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحترق السعفة .

(٥) (يلقي الشح) قال الحميدي : لم يضبط الرواة هذا الحرف ، ويحتمل أن يكون « يلقي » بمعنى يلقى ويتعلم ويتواصى به ويدعى اليه ، قال الله تعالى « ولا يلقاها الا الصابرون » أي ما يعلمها وينبه عليها ، وقال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي تقبلها وتعلمها ، ولو قيل يلقي بمعنى يوجد ، لم يستقم ، لان الشح ما زال موجود قبل تقارب الزمان ، ولو قيل : يلقي - مخففة القاف - لكان أبعد ، لانه لو ألقى لترك ، ولم يكن موجوداً ، وكأنه يكون مدحاً والحديث مبني على الذم ، الا ان في بعض الروايات لهذا الحديث « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يهم رب المال من يقبض صدقته » فيكون يلقي - بالثاقف مخففة - بمعنى الترك ، هذا لفظ الحميدي .

(٦) أخرجه البخاري ومسلم .

في قبة آدم ، فقال أعدد ستاً بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان^(١) يأخذ فيكم ، كقعاص^(٢) الغنم ، ثم استفاضة المال ، حتى يُعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فبأتونكم تحت ثمانين^(٣) غابة ، تحت اثنا عشر ألفاً^(٤) .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « في هذه الأمة خسف ومسح وقذف » فقال له رجل من المسلمين : يا رسول الله ، ومتى ذلك؟ قال : « إذا ظهرت القيان والمعاذ وشربت الخمر^(٥) » .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسح وقذف ، قالت : قلت يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا ظهر الحبث^(٦) » .

عن أبي مالك - أو أبي عامر الأشعري رضي الله عنهما قال عبد الرحمن بن غنم الأشعري : حدثني أبو عامر - أو أبو مالك الأشعري - والله ما كذبتني سمع النبي ﷺ يقول « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم^(٧) تروح عليهم سارحة لهم ، فيأتيهم رجل لحاجة ، فيقولون : ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة^(٨) » .

(١) موتان : بضم الميم : موت يقع في الماشية فيهلكها .

(٢) القعاص : داء يأخذ الغنم ، لا يلبثها أن تموت .

(٣) الغاية : بالغين المعجمة : الرابية ، ومنه غابة الخمار ، وهي خرقة يرفعها على بابه ، ومن رواه بالباء ، فإنه أراد الاجمة ، شبه كثرة رماح السكر بها .

(٤) أخرجه البخاري .

(٥) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن - يشهد له الذي بعده .

(٦) أخرجه الترمذي ، وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

(٧) العلم : الجبل وما يهتدى به في البرية ، من بناء أو جدار أو غير ذلك .

(٨) أخرجه البخاري .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ : فذكر
 الفن ، فأكثر في ذكرها ، حتى ذكر فتنة الأحلاس^(١) ، فقال قائل : يا رسول الله :
 وما فتنة الأحلاس ؟ قال : حَرَبٌ وَحَرَبٌ^(٢) ، ثم فتنة السراء ، دخنتها^(٣) من
 تحت قدمي^(٤) رجل من أهل بيتي ، يزعم أنه مني ، وليس مني ، وإنما أولياي المتقون ،
 ثم يصطلع الرجال على رجل كورك^(٥) على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء^(٦) ، لا تدع
 أحداً من هذه الأمة إلا اطمئنته لطمه ، فإذا قيل انقضت عادت ، يصبح الرجل فيها
 مؤمناً ويمسي كافراً ، حتى يصير الناس إلى فسطاطين^(٧) ، فسطاط إيمان لا نفاق فيه ،
 وفسطاط نفاق لا إيمان فيه ، فإن كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده^(٨) .
 عن أبي إدريس الخولاني قال حذيفة رضي الله عنه^(٩) : والله إني لأعلم الناس بكل

-
- (١) (فتنة الاحلاس) : شبه هذه الفتنة التي أشار اليها بالاحلاس ، وهي جمع جلس ،
 وهي كساء يكون على ظهر البعير لدوام هذه الفتنة ولزومها .
- (٢) حَرَبٌ : يفتح الراء : ذهاب المال والاهل ، يقال حرب الرجل ، فهو حريب : اذا سلب
 أهله وماله .
- (٣) (دخنتها) : اثارها وهيجهتهاشبهها بالدخان الذي يرتفع ، أي أن أصل ظهورها هذا الرجل .
- (٤) وقوله « من تحت قدمي رجل » يعني أنه يكون سبب اثارها .
- (٥) (كورك على ضلع) مثل ، أي : أنه لا يستقل بالملك ، ولا يلائمه ، كما ان الورك لا تلائم
 الضلع .
- (٦) أراد بالدهيماء : السوداء المظلمة ، وقيل أراد بالدهيماء : الداهية .
- (٧) (فسطاطين) الفسطاط : الخيمة الكبيرة ، والمراد به في هذا الحديث : الفرقة المجتمعة
 المنحازة عن الفرقة الاخرى ، تشبيها بانفراد الخيمة عن الاخرى .
- (٨) أخرجه ابو داود واسناده صحيح .
- (٩) في « المستدرک » للحاكم : ٤٣٢ « وكنت أسأله عن الشر كيما أعرفه فأتقنه ، وعلمت
 ان الخير لا يفوتني » ، أي اذ يسأل غيري عنه . قال العلامة ابن أبي جمرة في كتابه « بهجة النفوس »
 ٢٦١ : شاعت حكمة الله تعالى أن يقيم كلا من عباده فيما شاء سبحانه ، فحبب الى أكثر الصحابة
 السؤال عن وجود الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم . وحبب الى حذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه
 ويكون سببا في دفعه عن أراد الله له النجاة .
- وكل من حبب اليه شيء فانه يفوق فيه غيره ، ولهذا كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه
 غيره ، حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين ، وبكثير من الامور الآتية التي ستقع . ونقله ملخصا
 الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٣١ .

و قد عرف حذيفة رضي الله عنه بين الصحابة بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 روى مسلم في « صحيحه » ١٨ : ١٦ عن حذيفة أنه قال : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا قد سألته ، إلا أنني لم أسأله ما يخرج أهل
 المدينة من المدينة ؟ . وروى البخاري ومسلم في « صحيحهما » أن أبا الدرداء قال لعليمة : ليس
 فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ يعني : حذيفة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأله
 عن المنافقين ، وينظر إليه عند موت من يموت منهم ، فإن لم يشهد حذيفة جنازته لم يشهدا عمر .
 وهو الذي كان يحفظ حديث الفتنة كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حذيفة رضي
 الله عنه : « كنا جنوسا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في الفتنة كما قال : فقلت : أنا أحفظه كما قال ، قال : أنت لله أبوك هات ،
 أنك عليه لجرء - أي أنك لعالم به ، قوي على حفظه ، لكثرة اهتمامك بالسؤال عنه وعن أمثاله
 من أحاديث الفتن - فكيف ؟ » .

قلت : فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : ليس هذه أريد ، إنما أريد الفتنة التي توجع كوجع البحر .
 فقلت : مالك ولها ؟ لا بأس عليك منها يا أمير المؤمنين ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء
 وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير - أي تلك القلوب - على قلبين - أي على
 نوعين - أبيض مثل الصفا - أي الحجر الأبيض الأملس الأصم - فلا تضره فتنة ما دامت السموات
 والأرض . والآخر اسود مربادا - أي متغيرا مظلما تستهويه كل فتنة ، كالكوثر مجحيا - أي منكوسا
 مقلوبا لا يعلق به خير ولا تستقر فيه حكمة ، لا يعرف معروفه ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب هواه .
 وإن بينك وبينها - أي الفتنة - بابا مغلقا يوشك أن يكسر ، فقال عمر : أكسرا ؟ فلو أنه فتح
 لعله كان يعاد ؟ قلت : لا بل يكسر ! قال : ذلك أحرى أن لا يغلّق أبدا إلى يوم القيامة .

فقلنا - أي سامعوا هذا الحديث من حذيفة - لحذيفة : هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال :
 نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة . أني حدثته حديثا ليس بالاغاليط . - أي حديثه حديثا صدقا
 محققا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا عن اجتهاد ورأي - فهنا أن نسأل حذيفة من
 الباب ؟ فقلنا لسروق : سلّه ، فسأله فقال : الباب عسر رضي الله عنه « رواه البخاري في « صحيحه »
 ٢ : ٦ ، ٣ : ٢٣٩ ، ٤ : ٩٥ و ٤٤٥ ، ومسلم في « صحيحه » ٢ : ١٧٠ و ١٨ : ١٦ ورواه
 الترمذي وابن ماجه .

ومن كلام حذيفة وقد سئل أي الفتن أشد ؟ فقال : أن يعرض عليك الخير والشر ، فلا
 تدري أيهما تركب ! .

فتنة هي كائنة بيني وبين الساعة ، وما بي [إلا] أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إليّ في ذلك شيئاً لم يجدته غيري ، ولكن رسول الله ﷺ - قال يوماً - وهو في مجلس يتحدث عن الفتن ويعدّهن - : منها ثلاث لا يكدنّ يذنّ شيئاً ، ومنها فتن كرياح الصيف ، منها صغار ، ومنها كبار ، فذهب أولئك الرهط الذي سمعوه معي كلهم غيري ^(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تمرّ الدنيا حتى يمرّ الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتني مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدّين ، ما به إلا البلاء » .

وفي رواية قال : « لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه ^(٢) » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يحسّر الفرات عن جبل من ذهب يتّقلّ الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، فيقول كل رجل منهم اعليّ أكون أنا أنجو » .

وفي رواية : قال : قال رسول الله ﷺ - « يوشك الفرات أن يحسّر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً ^(٣) » .

عن عبيد الله بن حارث بن نوفل رضي الله عنه قال : « كنت واقفاً مع أبيّ ابن كعب ، فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا ، قلت : أجل ، قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوشك الفرات أن يحسّر عن جبل ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله ، قال : فيقتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ^(٤) » .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم ، وأخرج البخاري الثانية .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج أبو داود والترمذي الرواية الثانية .

(٤) أخرجه مسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تقيء الأرض أفلاذ كبدها »^(١) ، في مثل الاسطوان من الذهب والفضة ، فيجبيء القاتل ، فيقول : في هذا قتلتُ ، ويجبيء القاطع ، فيقول : في هذا قطعتُ رحمي ، ويجبيء السارق ، فيقول : في هذا قُطعتُ يدي ، ثم يدّعون فلا يأخذون منه شيئاً^(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأنين على الناس زمان ، لا يدري القاتل في أي شيء [قَتَلَ] ، ولا يدري المقتول في أي شيء قُتِل ؟ قيل : وكيف ؟ قال : المَرْج ، القاتل والمقتول في النار »^(٣) .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في الفتنة : « كَسَرُوا فِيهَا قِسِيَكُمْ ، وقَطَّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ ، والزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بِيُوتِكُمْ ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ »^(٤) .

وأخرجه أبو داود بزيادة في أوله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم »^(٥) ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ومُيسي كافرأ ، ومُيسي مؤمناً ويصبح كافرأ ، القاعد فيها خير من القسام ، والمائشي فيها خير من الساعي ، فكسروا قِسيكم ، وقطّعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخِلَ على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم^(٦) . وفي رواية « قالوا : فما تأمرنا ؟ قال :

(١) (تقيء الأرض أفلاذ كبدها) الافلاذ : النطع ، جمع فلة ، والقيء مستعمار لهما في

إخراج كنوزها ، كما يخرج القيء الطعام من الجوف .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه الترمذي .

(٥) (قطع الليل) : طائفة منه ، أراد فتنة مظلمة سوداء ، تعظيماً لثانها .

(٦) (كَابْنِ آدَمَ) أراد بقوله : كَابْنِ آدَمَ ، وقوله (كخير ابني آدم) هو ابن آدم لصلبه هابيل

الذي قتله أخوه قابيل ، وما قال الله تعالى في أمرهما « لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك » وقوله « اني أريد أن تبوء بانبي وائمك فتكون من أصحاب النار » .

كونوا أحلاس^(١) بيوتكم^(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان من المسلمين فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة^(٣) » .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم ، وتجتلدوا بأسيا فكم ، ويرث دنياكم شراركم^(٤) » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً نعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة » . وفي رواية قال : قال رسول الله ﷺ « تقتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، حمر الوجوه ، صغار الأعين^(٥) » .

عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة : أن تقتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقتلوا قوماً عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة^(٦) » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق -- أو بدابق^(٧) -- فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا تقتلهم ،

(١) أحلاس بيوتكم : فلان جلس بيته : إذا لزمه لا يفارقه ، مأخوذ من الحلس ، وهو

الكساء الذي يكون على ظهر البعير .

(٢) رواه أبو داود والترمذي ، وهو حديث صحيح .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه الترمذي ، ورواه أيضاً ابن ماجه في الفتن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

(٦) أخرجه البخاري .

(٧) موقعان بالشام ، بقرب حلب .

فيقول المسلمون : لا والله كيف نخلي بينكم وبين اخواننا ، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث ، لا يُقتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية ، فينأثم يقتسمون الغنائم ، قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم^(١) ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فاذا جاءوا الشام خرج ، فينأثم يُعدّون للقتال بسوؤوت صفوفهم ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى ابن مريم ، فأثمهم ، فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانداب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده - يعني المسيح - فيريهم دمه في حربته^(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سمعتم بمدينة ، جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : « لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني اسحاق ، فاذا جاءوها نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم ، قالوا : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور بن يزيد : لا أعلمه إلا قال الذي في البحر - ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولون [الثالثة] : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، فيفرّج فيدخلونها فيغنمون ، فينأثم يقتسمون الغنائم ، إذ جاءهم الصربخ ، فقال : إن الدجال قد خرج ، فيتركون كل شيء ويرجعون^(٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثُر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل القتل^(٤) »

عن يسير بن جابر - أو أسير - رضي الله عنه قال : « هاجت ريح حمراء بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هجيري^(٥) إلا : يا عبد الله بن مسعود ، جاءت الساعة ،

(١) (خلفكم) : خلفت الرجل في أهله : إذا قمت فيهم مقامه ، وخلفهم العدو : إذا طردهم وهم غائبون .

(٢) (٤٣٠) : أخرجه مسلم .

(٥) « هجيري » هجيرة : أي عادته ودينه .

قال : فقعد - وكان متكئاً - فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث ، ولا يُفرج بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا - ونحّاها نحو الشام - فقال : عدوّ يجمعون لأهل الاسلام ، ويجمع لهم أهل الاسلام ، قلت : الروم تعني ؟ قال : نعم ، ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة ، فيتشرط^(١) المسلمون شرطة^(٢) للموت ، لا ترجع إلا غالبة ، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتنفى الشرطة ، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتنفى الشرطة ، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت ، لا ترجع إلا غالبة فيقتلون حتى يُمسوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كل غير غالب ، وتنفى الشرطة ، فاذا كان اليوم الرابع نهد^(٣) اليهم بقية أهل الاسلام ، فيجعل الله الدائرة عليهم ، فيقتلون مقتلة - إما قال لا يرى مثلها ، وإما قال لم ير مثلاً - حتى إن الطائر ليمرّ بجنايتهم ، فاميل خلفهم حتى يجرّ ميتاً ، فيتعاد^(٤) بنو الأم كانوا مائة ، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يُفرج ، أو أي ميراث يُقسم ؟ فينتائم كذلك ؟ إذا سمعوا ببأس^(٥) هو أكبر من ذلك ، فجاءهم الصريح : إن الدجال قد خلفهم في ذرايعهم ، فيرفضون ما بأيديهم ، ويقبلون ، فيبعثون عشرة فوارس طليقة ، قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أسماءهم واسماء آبائهم ، وألوان خيولهم ، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ، أو قال : من خير فوارس^(٥) » .

قتال اليهود

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود [فيقتلهم المسلمون] ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر

(١) « شرطة » الشرطة : أول طائفة من الجيش يشهد الوقعة ، والتشرط : تفعل منه .

(٢) (نهد) الجيش لقتال العدو : إذا نهضوا اليه .

(٣) « فيتعاد » التناد : تفاعل من العد ، أي يعد بعضهم بعضاً .

(٤) البأس : الخوف والشدة .

(٥) أخرجه مسلم .

والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ، تعال فاقتله ، إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم ، هذا يهودي ورائي ، فاقتله ^(١) » .

٢ - ظهور الشرك واختفاء الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات ^(٢) نساء دوس على ذي الخلصة ، وذو الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية » وفي رواية : وذو الخلصة : « صنم كانت يعبده دوس في الجاهلية بقبالة ^(٣) » .

عن مرداس الاسلمي رضي الله عنه وكانت من أصحاب الشجرة ، سمعه قيس ابن أبي حازم يقول : « يُقبض الصالحون ، الأول فالأول ، ويبقى حثالة كحثة التمر والشعير ، لا يعبا الله بهم شيئاً » .

وفي رواية : قال النبي ﷺ « يذهب الصالحون الأول فالأول ، وتبقى حثالة كحثة الشعير أو التمر ، لا يبالهم الله بالة ^(٤) » .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة على

(١) أخرج مسلم الاولى ، والثانية البخاري .

(٢) (أليات نساء دوس على ذي الخلصة) ذو الخلصة : بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب ، وقيل : هو صنم ، وكان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة ، حين نصب الأصنام في مواضع شتى ، فكانوا يلبسونه القلائد ، ويلقون عليه بيض النعام ، ويلبسون عنده ، فكان معنهم في تسميتهم بذلك : أن عباده خلصة ، وقيل : هو الكعبة اليمانية ، والمعنى : أنهم يرددون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان ، فترمل نساء دوس ، طائفت حوله ، فترنج اردادفن .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه البخاري وقال : ويقال : حفالة وحثالة ، حثالة كل شيء أردؤه وارذله .

أحد يقول : الله الله « وفي رواية « حتى لا يقال في الأرض الله الله (١) » .
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث
 رجلاً من اليمن ألين من الحرير ، فلاتدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته (٢) » .
 عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم
 الساعة إلا على شرار الناس (٣) » .

عن عبد الرحمن بن شماس رضي الله عنه قال : كنتُ عند مسلمة بن مخلد
 وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال عبد الله : لا تقوم الساعة إلا على شرار
 الخلق ، هم شرٌّ من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم ، فينأهم على ذلك
 أقبل عقبة بن عامر ، فقال له مسلمة : يا عقبة ، اسمع ما يقول عبد الله ، فقال عقبة :
 هو أعلم ، وأما أنا ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون
 على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة ، وهم على
 على ذلك ، قال عبد الله : أجل ، ثم يبعث الله رجلاً كريح المسك ، مسهامس الحويز ،
 فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس ، عليهم
 تقوم الساعة (٤) » .

عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : سمعت عبد الله بن عمر
 رضي الله عنه - وجاءه رجل - فقال : « ما هذا الحديث الذي تُحدث به الناس ؟
 تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ، فقال : سبحان الله ! - أو لا إله إلا الله ،
 أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً ، إنما قلت : إنكم سترون
 بعد قليل أمراً عظيماً : يُحرق البيت ، ويكون ، ويكون ، ثم سمعته يقول : قال
 رسول الله ﷺ - : « يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث أربعين ، لا أدري - وفي
 رواية قال ابن عمرو - لا أدري أربعين يوماً ، أو شهراً ، أو عاماً - فيبعث الله

(١ و ٢) أخرجه مسلم .

(٣ و ٤) أخرجه مسلم .

عيسى بن مريم ، كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يكت الناس . سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبدي^(١) جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، قال : سمعتها من رسول الله ﷺ ، قال : فيبقى شرار الناس في خيفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستحيون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار^(٢) رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم يُنفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها^(٣) ، ورفع ليتها ، فأول من يسمعه : رجل يلوط إبله ، [قال] فيصعق^(٤) ، ويصعق الناس ، قال : ثم يرسل الله — أو قال : ينزل الله مطراً كأنه الطل^(٥) ، أو الظل — نعمان يشك — فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقِفْوهم لهم مسؤولون) ثم يقال لهم : أخرجوا بعث النار ، يقال : [من] كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعة وتسعة وتسعين ، قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيباً ، وذلك يوم يكشف عن ساق^(٥) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يذهب الليل والنهار ، حتى تُعبد اللات والعزى ، قلت يا رسول الله ، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله [ولو كره المشركون] أن ذلك تام ، قال : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة ، فتتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم^(٦) » .

(١) (كبد جبل) استعارة ، والمراد : ما غمض من بواطنه .

(٢) (أصغى ليتها) التليت : صفحة العنق ، واصفاؤه أمالته .

(٣) (يصعق) يغشى عليه ويموت .

(٤) (الطلل) : الندى الذي ينزل من السماء في الصحو .

(٥) أخرجه مسلم .

(٦) أخرجه مسلم .

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، فإذا وضع السيف في أمتي ، لم يُرفع عنه إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (١) » .

هـ - طلوع الشمس من مغربها

يقول الله سبحانه : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك . يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، قل انتظروا إنا منتظرون (٢)) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها) وفي رواية (فإذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً (٣)) .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالس ، فقال : يا أبا ذر ، أين تذهب هذه ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال فانها تذهب تستأذن في السجود ، فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها : اطلعي من حيث شئت ، فتطلع من مغربها ، قال : ثم قرأ : (وذلك مستقر لها (٤)) وقال : وذلك في قراءة عبد الله بن مسعود (٥) .

(١) قال علي المديني : هم أصحاب الحديث . هذا الحديث أورده رزين هكذا ، وأخرج مسلم بعضه ، وهو مذكور في فضائل الامة « من كتاب الفضائل » . رواه مسلم في الامارة وابو داود رقم ٤٢٥٢ في الفتن والترمذي رقم ٢٢٠٣ و ٢٢٢٠ و ٢٢٣٠ في الفتن .

(٢) أنعام ١٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وابو داود .

(٤) يس : ٣٨ .

(٥) أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ، وحتى يُبعث دجالون كذابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يُقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج — وهو القتل القتل — وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى همّ رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذي عرضه عليه . لا إرب لي فيه ، وحتى يتناول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبها بينهما ، فلا يتبايعانه ، ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحّته — أي ناقته — فلا يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يلبط^(١) حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة ، وقد رفع أكلته^(٢) إلى فيه ، فلا يطعمها^(٣)) .

ولسلم في رواية : أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يخرج قريب من ثلاثين ، كلهم يقول : إنه نبي ، ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، ويؤمن الناس أجمعون ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيفر اليهودي وراء الحجر ، فيقول يا عبد الله ، يا مسلم ، هذا يهودي ورائي ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر)

(١) لاط حوضه ويلوطه ليطا ولوطا : إذا لطحه بالطين وأصلحه به — أي يطينه ويصلحه .

(٢) (أكلته) (الأكله) بضم الهمزة : اللقمة ، وفيه : فمه .

(٣) أخرجه البخاري .

٦ - الدابة والدخان

١ - الدابة

يقول الله سبحانه (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ، أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) .

إن خروج الدابة من علامات الساعة ، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة ، وحق القول على الباقي فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك ، وإنما يقضي عليهم بما هم عليه .. عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم .. والدواب لا تتكلم ، أو لا يفهم عنها الناس . ولكنهم اليوم يفهمون ، ويعلمون أنها الحارقة المنبئة باقتراب الساعة . وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ، ولا يصدقون باليوم الموعود .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : (إن أول الآيات خروجاً : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأنها ما كانت قبل حاجتها ، والأخرى على إثرها قريباً ^(١)) .

٢ - الدخان

يقول الله سبحانه - : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس . هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . أنسى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه ، وقالوا : معلم مجنون . إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون . يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) . قال بعض المفسرين : لم يمس الدخان بعد . بل هو من أمارات الساعة ، كما ورد في حديث أبي سريجة .

عن حذيفة ابن أسيد الغفاري رضي الله عنه - قال : أشرف علينا رسول الله

(١) أخرجه مسلم .

ﷺ من عرفة وكنا نتذاكر الساعة ، فقال ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات^(١) : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان^(٢) والدابة^(٣) ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، والدجال . وثلاثة خسوف ، خسف بالشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وفار تخرج من قعر عدن تسوق الناس

(١) أي عشر علامات . وقد جاءت العلامات العشر هنا معطوفا بينها بالواو ، والواو لطلق الجمع ، فلا تفيد أنها ستقع بالترتيب المذكور هنا . وهذه الآيات كما قال الطيبي - رحمه الله تعالى - ونقله عنه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٣ - أمارات « وعلامات » للساعة اما على قربها ، واما على حصولها وقيامها ، فمن أمارات قربها : الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج ، والخسف ، ومن أمارات قيامها : الدخان ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ، والنار التي تحترق الناس .

(٢) قال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيد أي كالرأس المشوي على على الجمر . رواه ابن جرير في تفسيره ٢٥ : ٦٨ . وقد جاء تفسير « الدخان » بهذا المعنى عن عدد من أجلاء الصحابة . رفعه بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كآبي سعيد الخدري وأبي مالك الأشعري رضي الله عنهما ، ووقفه بعضهم ولم يرفعه كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) هي العنقة بقوله تعالى في سورة النمل : « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٧٤ « هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبدلهم الدين الحق ! يخرج الله لهم دابة من الارض فتكلم الناس على ذلك » . قال الألوسي في « روح المعاني » ٦ : ٣١٤ « أي تكلمهم بأنهم لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبداها ، أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات . وقصارى - أي غاية - ما أقول في هذه الدابة إنها دابة عظيمة ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان أصلا ، يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الارض ، ونخرج وفي الناس مؤمن وكافر .

ويدل على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ص ٢٣٤ ، وأحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٥ ، ٤٩١ ، والترمذي في « سننه » ١٤ : ٦٣ وحسنه ، وابن ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٥١ واللفظ له ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تخرج الدابة ومعه خاتم سليمان بن داود ، وعصا موسى بن عمران ، عليهما السلام ، فتجלו وجه المؤمن - أي تنوره وتبيضه - بالعصا ، وتخطم أنف الكافر - أي تسمه وتجعل عليه علامة - بالخاتم ، حتى أن أهل الحواء - أي أهل الحي الذي يجمعهم ماء يستقون منه - ليجتمعون ، فيقول هذا : يا مؤمن ، ويقول هذا : يا كافر » ثم قال الألوسي : وهذا الخبر أقرب الاخبار المذكورة في الدابة للقبول . انتهى .

— أو تحشر الناس^(١) — تبئت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا^(٢) .

(١) أي تسوقهم إلى مكان حشرهم وهو أرض بلاد الشام . وقد ثبت ذلك في عدة أحاديث أوردها الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٦ و ٣٢٨ ، قال رحمه الله تعالى :
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستخرج نار من حضرموت قبل يوم القيامة ، تحشر الناس ، قلنا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام »
رواه الترمذي في سننه ٦٢ : ٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر ، رواه أحمد في « مسنده » ٢ : ٨ و ٥٢ و ٦٩ و ٩٩ و ١١٩ وأبو يعلى .

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انكم محشورون ونحا بيده نحو الشام ، رجلا — أي مشاة — وركبانا — أي راكبين — وتجرؤون على وجوهكم » رواه الترمذي في « سننه » ٩ : ٢٥٧ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي وسنده قوي ، وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستكون هجرة بعد هجرة ، فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم — أي بلاد الشام — ويبقى في الأرض شرار أهلها ، تلفظهم أرضهم ، وتقذرم نفس الله — أي يكره الله خروجهم إلى الشام ومقامهم بها فلا يوفقهم لذلك فتحشرهم النار مع القردة والخنازير » . رواه أبو داود في « سننه » ٣ : ٤ والحاكم في « المستدرک » ٤ : ٥١٠ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي في « تلخيص المستدرک » .
وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول أشرار الساعة : نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » . رواه البخاري في « صحيحه » ٦ : ٢٦١ . وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تبئت نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب ، تبئت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا — من القيلولة وهي النوم في وقت الضحى ، والمراد أن النار تلازمهم فتكون معهم حيث كانوا في الليل والنهار — ويكون لها ما سقط منهم وتخلف ، وتسوقهم سوق الجمل الكثير » . أي تسوقهم ببطء . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١٢ : « رواه الطبراني في الكبير والوسط ، ورجاله ثقات » .

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « .. وآخر ذلك — أي وآخر العلامات الكبرى للساعة — نار تخرج من قعر عدن ، ترحل الناس إلى المحشر » رواه مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٢٨ وأبو داود في « سننه » ٣ : ١١٥ .

ثم قال الحافظ ابن حجر : « ووجه الجمع بين هذه الأخبار أن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها من المشرق إلى المغرب » وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها . والمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » . إرادة تعميم الحشر ، لا خصوص المشرق والمغرب ، وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق : مغرب انتهى بزيادة وتصرف .

==

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (بادروا بالأعمال ستا :
طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ،
أو أمر العامة ^(١)) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عوف ... عن أبي مالك الأشعري رضي الله
عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن ربكم أنذركم ثلاثا : الدخان يأخذ المؤمن
كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ،
والثالثة الدجال ^(٢)) .

وقال ابن جرير كذلك : حدثني يعقوب ... عن عبد الله بن أبي مليكة ،
قال : غدت على ابن عباس - رضي الله عنها - ذات يوم ، فقال : مائتُ الليلة
حتى أصبحت . قلت : لِمَ ؟ قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت أن
يكون الدخان قد طرق . فمائتُ حتى أصبحت ^(٣)) .

== وقد تضمنت هذه الأحاديث بيان مكان خروج النار ، وبيان وقت خروجها ، وكيفية سوقها
للناس ، ومنتهاها بهم . وجاء في حديث آخر بيان حال الناس حين يساقون الى المحشر في الشام .
روى البخاري في « صحيحه » ١١ : ٣٢٦ ومسلم في « صحيحه » ١٧ : ١٩٤ عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يحشر الناس - أي الى الشام قبل قيام الساعة
وهم أحياء - على ثلاث طرائق - أي على ثلاث أحوال - راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، -
هذا معطوف على محذوف تقديره : واحد على بعير ، واثنان على بعير - وثلاثة على بعير ، وأربعة على
بعير ، وعشرة على بعير - أي أنهم يتعاقبون على ركوب البعير الواحد ، فيركب بعضهم ويمشي بعضهم ،
وتحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم
أصبحوا ، ونسي معهم حيث أمسوا » . أي تلازمهم كل الملازمة الى ان يصلوا الى مكان المحشر .
(١) وفي رواية مثله ، والجميع بواو العطف ، وفي آخره « وخويصة أحدكم » وأخرجه مسلم .
خويصة : تصغير خاصة الانسان وهي ما يخصه دون غيره ، وأراد به الموت الذي يخصه ويمنعه
من العمل ان لم يبادر به قبله .

(٢) رواه الطبراني . وقال ابن كثير في التفسير وهذا اسناد جيد .

(٣) قال ابن كثير في التفسير (وهذا اسناد صحيح الى ابن عباس - رضي الله عنهما -
حبر الامة وترجمان القرآن .) وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين -
مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقتنع ودلالة ظاهرة على
أن الدخان من الآيات المنتظرة .

٧ - في قرب مبعث النبي ﷺ من الساعة وخروج الكذابين ، وخروج النار

١ - في قرب مبعث النبي ﷺ من الساعة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعه هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام ، وقال : بعثت أنا والساعة كهاتين ^(١)) .
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (بعثت أنا والساعة كهاتين ، كفضل أحدهما على الأخرى ، وضم السبابة والوسطى ^(٢)) وفي رواية قال : (بعثت في نفس الساعة ، فسبقتها كفضل هذه على الأخرى) .

٢ - في خروج الكذابين

عن جابر بن سمرة رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن بين يدي الساعة كذابين ^(٣)) .
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يبعث كذابون دجالون ^(٤) ، قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ^(٥)) . وفي رواية أبي داود (حتى يخرج ثلاثون دجالون كلهم يزعم أنه رسول الله) .
وفي أخرى : (حتى يخرج ثلاثون كذاباً ، كلهم يكذب على الله ورسوله) .

(٢٤١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٤) ليس المراد بالبعث الإرسال المقارن للنبوّة ، بل هو كقوله تعالى : « انا ارسلنا الشياطين على الكافرين » ، وليس المراد أيضاً من ادعى النبوّة مطلقاً ، فانهم لا يحصون كثرة ، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء ، وانما المراد من قامت له شوكة وبدت لهم شبهة .

(٥) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٣ - خروج النار قبل الساعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الابل بصرى^(١)) .
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (ستخرج نار من حضرموت - أو من بحر حضرموت - قبل القيامة تحترق الناس ، قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام^(٢)) .
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (أول أشراط الساعة : نار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب^(٣)) .

٨ - أشراط متفرقة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع^(٤) الانس ، وحتى تكلم الرجل عذبة^(٥) سوطه وشراك نعله ، وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده^(٥)) .
عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس^(٦) لكع^(٦) بن لكع^(٧)) .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه البخاري .

(٤) عذبة سوطه : السير المعلق في طرفه .

(٥) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٦) (لكع بن لكع) اللكع عند العرب : العبد ، وقيل : هو اللثيم ، وقيل : هو الوسخ القذر .

(٧) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يقوم رجل من قحطان يسوق^(١) الناس بعصاه^(٢)) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (بينما رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم ، إذ جاءه أعرابي ، فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه ، فقال بعض القوم : سمع ما قال ، فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه ، قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا ذا يا رسول الله ، قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد^(٣) الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة^(٤)) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجل من الموالى ، يقال له : الجهاج) وفي نسخة : « الجهل^(٥) » .
عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحنو المال ولا بعده^(٦)) .

عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأتى النبي ﷺ قوم من قبيل المغرب عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمة^(٧) ، فانهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد ، قال : قالت لي نفسي : اتهم قمم بينهم وبينه لا يغتالونه^(٨) ، قال : ثم قلت : لعله نجي^(٩) معهم ، فقممت بينهم وبينه ،

(١) يسوق الناس بعصاه (لم يرد العصا نفسها ، وأنا ضربها مثلا لطاعتهم ، واستيلائه عليهم ، إلا أن في ذكرها دليلا على ذلك ، وعلى خشونته عليهم وعسفه بهم .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) (وسد الأمر إلى غير أهله) إذا اسند إليه ، هذا كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه وانفاقهم عليه .

(٤) أخرجه البخاري .

(٥) (٦ ، ٥) أخرجه مسلم .

(٦) الأكمة : الرابية ، والموضع المرتفع من الأرض .

(٧) الاغتتيال : هو أن يؤخذ الإنسان بغتة من حيث لا يشعر .

(٨) (النجي) : المناجي وهو المسارر .

قال : فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي ، قال : تغزوت جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله ، ثم تغزوت الدجال فيفتحها الله ، قال : فقال نافع : يا جابر - هو جابر بن سمرة - لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم^(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض ، وحتى يخرج الرجل بركة ماله ، فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً^(٢)) .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (من حديث جبريل حين أتى النبي ﷺ إلى قول النبي ﷺ لجبريل) : (فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربّتها^(٣) ، وأن ترى الحفاة العراة ، العالة ، رعاء^(٤) الشاء يتطاولون في البنيان^(٥)) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد^(٦)) .
وعند النسائي قال : (من أشرط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد) .

(١ ، ٢) أخرجه مسلم .

(٣) ربّتها ، ربها : الرب ، السيد والمالك ، وهي الأمة تلد للرجل فيكون ابنها مولى لها ، وكذلك ابنتها ، لأنها في الحسب كابنها . والمراد أن السبي يكثر ، والنعمة تغشو في الناس وتظهر .

(٤) الرعاء : جمع راع ، والشاء ، جمع شاة .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه أبو داود وإسناده صحيح .